ترايان پتروفسكي

قصائد في حب مصر

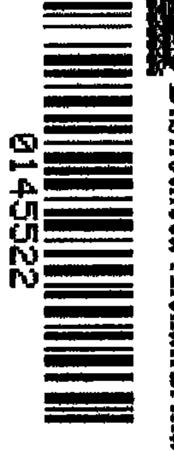
ترجمة وتقديم

د. جمال الدين سيد

مراجعة

سعد درويش





الرسوم الداخلية : محمد قطب
الغــلاف : محمود القاضى
الإخراج الفنى : انعام صالح

ترايان پتروڤسكى

أبو الهول

قصائد فى حبّ مصر

ترجمة وتقديم : د. جمال الدين سيد
مراجعة : سعد درويش



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

تقـــديم

حصلت يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية على استقلالها ونالت شعوبها حريتها ، وبالتالى حصل الشعب المقدونى على حريته ، ومن ثم بدأ يتطور بحماس خلاق . وتمكن الشعراء المقدونيون من تحقيق التحرر النهائى الشامل لشعرهم . وساهمت فى ذلك زيادة الاتصـالات الحية بـين المناطق والمـراكز الأدبية اليوغوسلافية ، والمراكز الأدبية الأوروبية والعالمية .

ولازالت الأرض المقدونية تنبت كل يوم الجديد من الشعراء الجدد الذين يبدو أنهم سيواصلون نفس النجاح فى الرحلة الأبدية للشعر المقدونى بحثا عن الأسرار الشعرية الجديدة فى منطقة مقدونية بيوغوسلافيا .

ومن الأسـماء الشعـريـة البـارزة التى لمعت فى ســماء الشعـر المقــدونى بيوغوسلافيا ، بل ولمعت أيضا فى الأوساط الأدبية بمصر ، الشاعر المقدونى اليوغوسلافى ترايان بتروفسكى .

وقد ولد هذا الشاعر الشاب فى عام ١٩٣٩ بقرية « أربا نوفا » بالقرب من مدينة « أوهريد » بمقدونية . وأنهى دراسة الحقوق بالجامعة فى « سكوبلى » ، وأخذ يشتغل بالترجمة والصحافة ، ويكتب الشعر والنثر وأدب الأطفال . ومن دواوينه المشهورة : الأرض القاحلة ، الزهور الجبلية ، أوباليينيك ، بركة الخبز ، حديث الفلاحين ، الوجه الجميل للجبل . هذا علاوة على كتاباته فى مجال القصة الطويلة والقصيرة .

وبتروفسكى يكتب الشعر الاجتماعى الذى يصور فيه هجرة الفلاحين إلى المدن ، وهجرة أهل بلده إلى البلاد البعيدة عبر المحيطات ، وفقدانهم التدريجى لروابطهم مع الوطن الأم . ويعالج كذلك فى شعره ارتباط الإنسان بالأرض مع التركيز على ضرورة تقدير كل الأمور ذات القيمة الكبيرة ، وهو يركز على تلك القيم التى تتلاشى بسرعة بالغة بالرغم من أهميتها بالنسبة لذاتية وشخصية أى شعب من الشعوب .

والإلهام الأساسى فى شعر بتروفسكى نابع من الريف ، ومن مناظره الطبيعية ، ومن الأحاسيس الوطنية . وينقل لنا شعره صورة العالم منقولة عن صور الطفولة المبكرة ، ويتم باستمرار تدعيم هذه الصور بالمعارف الجديدة ، والتجارب الحديثة من البلدة التى نشأ فيها ، ومن الحياة بكل ما فيها من خير وشر . ولكنه يفعل ذلك بنبضات واضحة جديدة تنزع عنها قناع المثالية الأسطورية .

وقد استن الشاعر المقدونى اليوغوسلافى ترايان بتروفسكى سنة جديدة ، فقد استغل فترة وجوده بالقاهرة لمدة أربع سنوات ، عمل خلالها مستشارا ثقافيا وإعلاميا بالقاهرة ، فى القراءة عن تاريخ مصر الفرعونى قراءة مفصلة وزيارة معالمها التاريخية الفرعونية والإسلامية . ويبدو أن الفراعنة قد أصابوه بسحرهم وألهموه هذه المجموعة الشعرية التى يستلهم موضوعاتها من آثار الفراعنة وتاريخهم . وقد حاول الشاعر فى هذه القصائد أن يمزج الأفكار الفرعونية بأفكار العصر الحديث مما أضفى عليها لونا جديدا فى مجال الكلمة الشعرية .

وفيما عدا هذه المجموعة الشعرية الجديدة فقد نشر بتروفسكى العديد من قصائده بالمجلات العربية ، وتمت ترجمة عدة قصائد له فى كتاب « مختارات من الشعر المقدونى المعاصر » الذى صدر بالقاهرة فى بداية ١٩٨٤ . وقد ساهم بتروفسكى أيضا فى ترجمة مختارات من الشعر المصرى المعاصر التى تم طبعها فى يوغوسلافيا وتم الاحتفاء بصدورها خلال مهرجان ستروجا الشعرى فى أغسطس ١٩٨٤ .

د. جمال الدين سيد

الاكتشـــاف

الاكتشـــاف

المس أبا الهول بنظرة
سينطق لك
بحكمة الآلهة

المسه بفكرك
ينقلك إلى
عالم الخلود

انْحَنِ أمام كبريائه
وارْحَلْ إلى أى مكان
بذلك القليل الذى عرفته

وخلفك لن يثور
إلا قليل من الغبار
مثلما حدث مع نابليون .

أثر أبي الهــول

أثر أبي الهــول

بنظرة واحدة

يغوص فى أعماق النفس

ويخترق حتى الحواس

وهو لا يتراجع

إنه يترك أثرا

لا تفسره إلا النجوم

حينما يصبح الجسد

تمثالا أثريا !



صمت

أبو الهول ـ

صــمت

حول أبى الهول
تدوى أصوات الأزمنة

وكلمتى المرتعدة
تقترب منه ، ولكن من بعيد

والفتيات الهيفاوات يقهقهن
فى الحجرات الموصدة

ولا يبدين أى اهتمام
بدوى الأصوات

إنهن يعلمن أن الأسرار كامنة
داخل الصمت الأبدى لأبى الهول

إطراء القــوة

إطراء القــوة

تمدد بجسده تجاه شروق الشمس
كمن يريد أن يطير
قوته هى قوة الضوء
الصادر عن ملايين الشموس

إنه يخضع حمم الموت
التى تغلى فى باطن الأرض
وتبحث عن ثغرة تنبثق منها

كل شىء يتجه إليه
حتى صلبان التعذيب

أبو الهول هو التوازن
بين الماضى والمستقبل
بين النشوء والعدم
بين القوة والخنوع

وهو خيال مرهف متوهج !

إن نظرته الملتاعة
فى قلبى فوهة بركان

لم أعد ذلك الذى كنته

لم أعد ذلك الذى كنته

أنظر إلى أبى الهول من خلال عين « حورس »

ومن خلال الحواس

أستقبل إشارات الشمس وضوء القمر

إن نظرته لا تتبدل

ففيها دائما نفس السكون إزاء العالم المتغير

الذى يدور حوله

إن بسمته المستترة الممتزجة بدهاء النساء

تجعلك أكثر فهما وإدراكا للحياة

وتتدفق مياه الأزمان
وتبحر السفن المصنوعة من ورق البردى
ويستغرق الفراعنة فى النوم
وهم يحلمون أحلاما مباركة .
وبصرى الذى ألمت به غشاوة
ما يكاد يكتشف شيئا حتى يضيع منه
الحقيقة هى أننى لم أعرف إلا متأخرا
كيف تفسر القوانين القديمة :
قوانين القوة والخلود والأحلام

إننى أحس بأن شعاع أبى الهول يشع منى
وأشعر بتغير فى كيانى

إننى لم أعد ذلك الإنسان الذى كان
شىء ما يقلقنى ويثير فى نفسى الحيرة
لقد أصبحت ذرة مشعة من الغبار فى هذا الكون





فى بلاد الفراعنة

فى بلاد الفراعنة

رأيت أعاجيب من المرمر والجرانيت
ينبثق منها شعاع الأبدية
والأعمدة الحجرية المرتفعة فى السماء
والقصور والمسارح والتوابيت
والمومياوات وتماثيل أبى الهول ذات الرؤوس البشرية
هى علامات القوة لزمن من الأزمان
تنبىء عبر النظام الشمسى
عن خلود الحياة وقوة الموت

ورأيت إله الأموات « أوزيريس »
الذى بُعث من جديد بجسد آخر
و« إيزيس » منقذته
التى جمعت أشلاءه ليعود إلى الحياة

ورأيت الجعران وهو يرفع الشمس
بنفس القوة وفى نفس الاتجاه على الدوام

هبطت إلى العالم الآخر لكى أشاهد
قياس النفس فى ميزان النجوم
الإله « أنوبيس » يقف فى ناحية
وفى الناحية الأخرى الإله « حورس »
وهما مستغرقان فى عملية القياس

ورأيت جميع القرون الماضية
مجسدة فى الكتل الصخرية للأهرام
وعثرت فى خليج النجوم الميتة
على بقايا المنارات المتهدمة
رأيت الفوضى واليقظة المجنونة
ورأيت مدينة الموتى ورمز النشوء
فى أكبر متحف للبشرية

رأيت كل ما يعيننى على تفهم
بداية العالم كيف كانت
ولكننى لم أجد إجابة
كيف تكون النهاية

فتوجهت وحدى إلى الصحراء
فلم أجد الإرياح الصحراء

لا تتهمونى باليأس
فربما أعانى من خداع النفس



الهــرم

الهـــرم

تنبعث الشمس من قمته
إنه يديرها حول محوره
وهو مقياس المكان والزمان
وهو نظام الأرقام والرموز
وهو رنين الأصوات والأصداء
عجز الغزاة أن يدمروه
ولم ينجح علماء الفلك والآثار
فى أن يفسروه

والبناءون يسقطون صرعى
عند التفكير فى تشييد مثل هذا المحراب

بأية قوة وأى جهد
ارتبط الموت بالحجارة ؟
إننى أضعف من أن أجيب عن هذا السؤال

طيبــة

طيبـــة

النوبى الشاب يقول :

هذه هى طيبة !

أدْخُلْ من أى باب

من الأبواب المائة

لديك مائة مدخل

ومخرج واحد فحسب

أدخل بمفردى
خلال غابة من الأعمدة
ماذا أفعل وأنا تائه ؟

العظماء يجلسون فى سكون على عروشهم
وأنا إزاءهم إنسان فان .

وبرغم إرادتى
أصبحت أسيرا
لشهرتهم التى اكتسبوها بالقوة
ولكن السؤال الذى لابد أن أجيب عنه
لكى أخرج من هذا المأزق

هو ماذا كانت العلاقة الغامضة بين البنائين

الذين ظلت أسماؤ هم مجهولة

وبين الجبابرة الذين يتباهون بتيجانهم ؟!





وادى الملوك

وادى الملوك

النحاتون وشداة المعابد

انتهبوا صخور الجبال

لكى يقيموا العالم الآخر

ومن أكاليل الجبال الغربية

صنعوا حجرات للموت

وعقدوا صلة بين المعابد

والملاحم الطبيعية

للبرق والبراكين

مع أنهم لم يعتقدوا فى النار ولا فى الرماد

ولم يفكروا فى الغزو والنهب

ولم يستخدموا أساليب رجال القصور

بل كانوا يشيدون ، وقد استنفدت قواهم

من أجل أن يتفوقوا بعقولهم

على أهواء الآلهة المزيفة

وادى الملكات

ينفتح كثوب قماش

كما ينفتح جناحا الصقر الطائر

ليس كمثل هذا الوادى واد آخر

يضم هذا العدد من الملكات فى مكان واحد

يتساوين فى القوة والموهبة

أسرَّتهن وملابسهن

حدائق مزدهرة من الجرانيت والمرمر

لقد نسين الأحقاد التى كانت سائدة بينهن
وهن الآن يهمسن فى حب وصفاء
إنهن عذارى . . عادت العذرية إليهن
وبإمكانهن أن يحملن ثانية
بمجرد لمسة ورقة شجر أو رمح ذهبى
كان من قبل مضرجا بالدماء
خلال رحلة صيد سعيدة فى العربة الذهبية

إن الموت قد منحهن الحرية الكاملة
وأعاد إليهن الحياة ، وأعاد تتويجهن
إن أقوى الملوك
كان لا يمكن تصور حكمه

بغير ظل المرأة
بغير قلب المرأة

هكذا يقول هذا الوادى
الذى ينفتح كثوب قماش
كما ينفتح جناحا الصقر الطائر



أغنية النشوء

أغنية النشوء

متجولون مجهولون
ينبشون هرمي
بحثاً عن المدخل السري
الموصل إلى تابوتي
من الواضح أنهم يريدون
أن يسرقوا مومياثي

هذا يعنى أن شخصاً يبحث عن عظامى
ويحتاج إلى قبرى !

لا أستطيع أن أدافع عن نفسى
كما لم يدافع أحد عن نفسه
من أن يخطف !

ولم يكتشف اللصوص
أن هرمى ليس إلا خيالاً
أستشف من خلاله
أوهام الأشخاص المرضى
بسلب ممتلكات الآخرين ومصائرهم

رمسيس الثانى

سيطأ بخطواته الثابتة

خمسين قرناً !

وحينما يقتنع بعدم جدوى

أن يجد له ندا

سيترك « ممفيس »

وسيطوف بعظمة

جميع عواصم العالم

وسيطلب مبارزة جميع النحاتين المهرة فى فن الحجر



نفـــرتيتي

نفــرتيق

الفتيات اللائى يرتدين الملابس البيضاء
وجدوها تستجم
فى قصرها المترف
بخروها بعطور من الصومال
بلد البخور
وأحضروها إلى حجرتى
وقالوا لترقد مريضة هنا

تلك الإآلهة العزيزة

ولتسترحْ من إنجاب

الأطفال ذوى الأجنحة والرؤوس الشمسية

إذا كان الناس فى حاجة إلى الجمال

مثل الآلهة

فعليهم أن يبحثوا عنه فى نفوسهم

لحظة تفكير

لحظة تفكير

منذ ذلك الحين ، مضى أكثر من خمسين قرناً
فكرة التشييد عندهم
وصلت إلينا
وستتفوق علينا
إننى أعترف بذلك
وإن لم يكن من السهل
أن تتحمس لأعمال غيرك

لقد ورثنا أبجدية جميع الأزمنة
والنظام الشمسى
والطقوس الدينية الرائعة للموت
والمرمر الأبيض ، والقبور الذهبية
ماذا يتبقى لنا لكى نوصى به
أولئك الذين سيخلفوننا
بعد خمسين قرناً جديداً ؟

ربما بقايا ذلك الذى أخذناه عن الماضى
سيكون أكثر قيمة من أعمالنا
ولماذا يكون ذلك
ما دام زماننا كزمانهم

فيه الرفاهية والشقاء

والمسرات والأحزان

وفيه الحياة والموت ؟!





العازف على القيثار

العازف على القيثار

العازف الكفيف يعزف على القيثار
وثمانى أميرات يقمن بالتمثيل الصامت

لقد أهدى نور البصر
إلى أسياده
لكى يعزف فى حماسة أشد

لا تلتمس الشفقة
عش من سرور الآخرين

العازف الكفيف يغني عن زوال الحياة
وطول حياته يدرس
كيف يتمتع حتى لحظة الموت

يدعو إلى حضور الوليمة
لأنه ينبغي الاحتفاء بالحياة
ولو بكأس المرارة !

الهيروغليفيـــة

الهيروغليفيـــة

إلى زوجتى « فيركا »

سأبتكر كلمة معبرة

كما تعبر الزهور والطيور

والحشرات والحيوانات

واللهب والسلاح

ستترك هذه الكلمة سراً

على ورقة روحك البردية

التى ستربط بين جسدينا
فى حجرة موت مشتركة !

ربما سيكون هذا السر
صلة نجمية
فى دائرة الحياة والموت
نتركه لأحدث المكتشفين
الذين سيدرسون عصرنا النشوان
عندما يصبح ماضياً بعيداً !

أمام وازن الأرواح

أمام وازن الأرواح

حينما أصل إلى العالم الآخر
أوافق على أن يزن كل من « حورس » و« أنوبيس »
روحى بالميزان
وليسجل « توت » الحكيم مقدار الوزن
ولينطق « أوزيريس » بالحكم علىّ

هكذا سأتخلص على الأقل
من إصدار الحكم على نفسى !



الأســطورة

الأســطورة

تجمع الأطفال فى مكان فسيح
بجانب المدينة الخامدة منذ زمن بعيد
ينبشون الأسطورة

أسطورة من الحجرة الأحمر
بها صورة امرأة فاتنة
تفرحهم أشد الفرح

قال أحد الأطفال الكبار :

نبيع هذه الأسطورة

بخمسة قروش زهيدة

برغم أن قيمتها تفوق ذلك

قال طفل آخر وأشار فى انفعال

إلى التماثيل الجاثية لرمسيس :

بلادنا غنية أكثر من اللازم

بمثل هذه الأشياء الثمينة

نحن نحفر بأيدينا

وعلى الدوام نكتشف

أعطيناهم القروش الزهيدة

ومضينا ونحن متأثرون
برحابة صدر الأطفال

إن لديهم إحساساً بالقيمة
ومع ذلك يعرضونها بنقود زهيدة !





حــلم فرعــونى

حـلم فرعـونى

الآلهة والجماهير الوفية
أحلم بأنهم يتوجوننى
على عرش توت عنخ آمون
ولا أحد من زفاقى يقف بجانبى
لكى يشجعنى فى اللحظة المثيرة
ليس إلا الصحراء ، وكأنها مصيرى
ممتدة إلى الأفق

وفيها يعدو بسرعة رهيبة
ظل الإسكندر المقدونى
وكأنه جاء ليهنئنى بالهزيمة !

التاج زينة قاتلة
يرفع فوق رؤوس الأقوياء
من أجل أعظم الانتصارات

وأفضل الناس هم أولئك الذين ينجحون
فى أن يقذفوا بالتاج حتى وهم يحلمون
لكيلا تفاجئهم اليقظة
وهم فى نشوة التتويج

أكرم لى أن يتم قطع الرأس تحت التاج
وأن أمشى فى الدنيا إنساناً بلا رأس
هكذا يقول لى الظل
وهو يبدو أكثر سواداً
فى عيونى



إثر موت الإسكندر المقدونى

إثر موت الإسكندر المقدونى

إثر موت الإسكندر المقدونى
هب على الإسكندرية الكثير من العواصف
دنسها قادة الجيوش والأجانب
وقدم إليها الفلاسفة والساسة
ومشيدو التماثيل والعلماء
والعمالقة واللحادون ولاعبو السيرك
وحضر الشحاذون والكاذبون

من مناطق كثيرة من أوروبا
بعض منهم كانوا يبددون أو ينهبون
من النعيم والبريق والجمال
وآخرون كانوا يقيمون إمبراطوريات أخرى

ارتفع ثم انهار
الرومان والإغريق واليهود
ولم ينجح أحد فى أن يفوز
بالنصر الكامل على الإسكندرية
لقد حلت على الجميع لعنة مؤسسها !

دانتى فى الإسكندرية

دانتى فى الإسكندرية

بعد هذا العدد الكبير من القرون
حضر دانتى إلى الإسكندرية
لكى يسجل اسمه شخصياً
فى سجل التعازى
الذى افتتحه الوزراء المكفوفون
بمناسبة حرق
مكتبة الإسكندرية

وسجل فيها بيد ثابته :

إننى سعيد لأن بإمكانى تبرير

وجود جحيمى !

لا توجد نار بمقدروها أن تمحو

الكلمة التى نُطقت ذات مرة !



ضوء القمر الصحراوى

ضوء القمر الصحراوى

ينبغى أن يتم تأمله لساعات
فى أكبر عزلة ، من قلب الصحراء
فى هدوء ، بدون طرفة عين

ينبغى انتظار أن يثملك
ضوؤه
وأن ينشط بداخلك
روح الهلال

آنذاك ستشعر حقيقة
بصورة عالم الصحراء وقوته
والمأساة الأبدية للصحراء
خلال لعبة الظلال
لثلاثة فحسب من الممثلين :
البدوى والناقة والنخلة

حينما تفيق سترى
أن ضوء القمر قد غمرك
بغبار فرعونى
لكى يحررك ولو للحظة
من عذاب الأحلام الكونية !

الواحة

الواحـة

كأس صغيرة
مغمورة بالخصوبة
خلف الأماكن الخالية
خلف القصور الرملية

أشرب تحت ضغط العطش
من آبارها الخضراء

وأنام فى حديقة النخيل
وحولى يقف الغلمان الحراس
الذين لم يروا شيئاً آخر
سوى الشمس

إنهم لا يلتمسون أية شفقة
ويجتهدون بكل براءتهم
فى أن يحموا حلمى
وأن يثروا فكرى
بأسرار ألعابهم
إنهم صوت الواحة
التى حملتُها مختفية بداخلى
والتى أغلقت عليها نفسى !

العــرّاف

العـرّاف

وسط الصحراء
فى مدينة التماثيل المصنوعة من الجير
الذى نحتته رياح الصحراء
ولد شاعر موهوب
من أب يعمل سائساً للجِمال بالصحراء
كان يعيش منعزلاً عن الناس
تحاصره الرياح والشمس
ويحميه الضوء الشديد

تنبأ هذا الشاعر المجهول
بأنه سيأتى زمان لابد فيه للعالم
من أن يتحول إلى صحراء واحدة
بها مناظر طبيعية رمادية داكنة
وتحمل فيها كل المخلوقات البشرية
نفس السمات
وتعيش حياة قاسية تائهة

الصحراء هى أفضل مكان
تتطهر فيه النفوس البشرية

الــسراب

الســراب

كان ينبغى علىّ أن أكون وحدى
لفترة طويلة وسط الصحراء
مثقلاً بالفكر المجرد عن الحياة
وعن الموت وعن الأحلام

وحينما وصلت إلى متاهة الجنون
وقد احترقتُ من الشمس الملتهبة
لمحت على البعد حزمة من الضوء

تصب ماء ثقيلاً
كانت هذه هى شلالات « فودن »
التى كانت تهطل مصدرة خريرا ،
من علياء السموات !

هرولت بيدين ممدوتين
وجريت طويلاً إلى أن أنهكنى التعب
ولكنى لاحظت أننى مشدود إلى سراب
لا يتضاءل بل يبتعد
وأن خطوة الإنسان قوية
عندئذ ضغطتْ الفكرة المجردة
على نفسى ضغطاً شديداً

هذا يعنى أن تلك الشلالات القوية « فودن »
قد أصدرت خريراً بلا جدوى
ولم تكن حماستى إلا ظاهرة جوفاء !





المحتوى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/١٧٦١

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٠٨٧٠ - ٧

الثمن ٢٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب